منهجية المقارنة عند المستشرق هنري جورج فارمر في كتابة تاريخ الموسيقى الإسلامية والغربية

مهيب قادر مصطفى
القسم التأريخ ، الكلية الاداب ،
الجامعة صلاح الدين ، اربيل ، العراق
muhib.mustafa@su.edu.krd

مەبەست برهان قادر
القسم التأريخ ، الكلية الاداب ،
الجامعة صلاح الدين ، اربيل ، العراق
dmabast.qadir@su.edu.kr

الكلمات المفتاحية: نظرية الموسيقى، التنظيم النظري المنهجي، الآلات الموسيقية، اللحن، التناغم الصوتي.

كيفية اقتباس البحث
مصطفى، مهيب قادر ، مەبەست برهان قادر، منهجية المقارنة عند المستشرق هنري جورج فارمر في كتابة تاريخ الموسيقى الإسلامية والغربية ،مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، نيسان ٢٠٢٦، المجلد:١٦ ،العدد:٤ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

The Comparative Methodology of the Orientalist Henry George Farmer in Writing the History of Islamic and Western Music

MUHIB QADER MUSTAFA,
Department of History, College of Arts, SalahaddinUniversity, Erbil, Iraq

Mabast Burhan Qadir
Department of History, College of Arts, Salahaddin University, Erbil, Iraq

Keywords : Music theory, systematic theoretical organization, musical instruments, melody, vocal harmony.

How To Cite This Article
MUSTAFA, MUHIB QADER , Mabast Burhan Qadir , The Comparative Methodology of the Orientalist Henry George Farmer in Writing the History of Islamic and Western Music,Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, april 2026,Volume:16,Issue 4.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract

Henry George Farmer, after (60) years of research and collecting manuscripts and books from European and Eastern libraries, gathered more than 1,600 books on music. He identified the contributions of Muslim scholars and Western scholars in the field of music.

Through the method he employed in writing the history of music, he compared the texts and musical instruments of Muslim scholars with those of famous musicians of the Middle Ages. He demonstrated the influence of that knowledge on the theoretical foundations of European music. He also refuted the claims of most earlier Orientalists and, with verified scientific evidence, established the position of Muslim scholars in the science of music. Furthermore, he discovered two theories of Islamic music within the history of sciences.

Thanks to his comparative methodology, Farmer traced the origins of music theory back to Islamic civilization, a theory not found in earlier

civilizations. He considered Ishaq al-Mawsili the originator of this theory, which persisted until the 13th century CE. The most prominent example was Safi al-Din's theory of "Nuzum" (arrangement), which influenced Western music. Despite numerous criticisms, this theory remains valid. Spanish music theory, a source for Western music, arose under the influence of Islamic music theory. Muslim scholars in Spain played a crucial role in transmitting this theory to Spain. As a result of his comparative methodology, Farmer corrected many historical inaccuracies regarding the invention of musical instruments. He traced the origins of over 90 musical instruments to Eastern peoples, documenting the history of each instrument and identifying their influence on European musicology.

الملخص

بعد ستين عاماً من البحث وجمع المخطوطات والمصادر من مكتبات أوروبا والشرق، جمع هنري جورج فارمر أكثر من (١٦٠٠) مصدر في مجال الموسيقى، واستطاع من خلال المنهج الذي اعتمده في كتابة تاريخ الموسيقى أن يحدد مصادر علماء المسلمين وعلماء الغرب الموسيقيين. وقام بمقارنة نصوص وآلات الموسيقيين المسلمين مع مشاهير الموسيقيين في العصور الوسطى، كما حدد تأثير ذلك العلم على الجانب النظري للموسيقى الأوروبية. ودحض مزاعم معظم المستشرقين الذين سبقوه، وأثبت بالمستندات العلمية الموثقة مكانة العلماء المسلمين في علم الموسيقى، كما اكتشف نظريتين موسيقيتين إسلاميتين في تاريخ العلوم.

بفضل منهجية المقارنة، أرجع فارمر نظرية الموسيقى للحضارة الإسلامية، ولم تكن تلك النظرية من الحضارات السابقة. اعتبر إسحاق الموصلي مبتكر تلك النظرية، واستمرت حتى القرن الثالث عشر الميلادي، وكان أبرزها نظرية (النظم) لصفى الدين، التي كان لها تأثير على الموسيقى الغربية. ورغم الانتقادات الكثيرة، إلا أن تلك النظرية لم تُدحض حتى الآن.نظرية الموسيقى الإسبانية، التي كانت مصدراً للموسيقى الغربية، نشأت تحت تأثير نظرية الموسيقى الإسلامية. وكان لعلماء المسلمين في إسبانيا دور مهم في نقل تلك النظرية إلى إسبانيا. نتيجة لاستخدامه لمنهجية المقارنة، صحح فارمر العديد من الحقائق التاريخية في اختراع الآلات الموسيقية. أرجع أكثر من ٩٠ آلة موسيقية للشعوب الشرقية، وسجل تاريخ كل آلة على حدة، وحدد تأثير تلك الآلات على علم الموسيقى الأوروبي.

٠ – المقدمة:

من خلال بحثه في أكثر من(٩٠) آلة موسيقية للحضارة الإسلامية، وجمعه لغالبية مخطوطات العلماء المسلمين واليونانيين وعلماء العصور الوسطى، استطاع فارمر تحديد تأثير الآلات

الموسيقية للشعوب الشرقية على الحضارة الغربية. وقد تحقق ذلك بفضل استخدامه لمنهجية المقارنة في تحديد مكانة العلماء المسلمين وإبداعاتهم في صنع الآلات الموسيقية، واكتشافهم لنظريات الموسيقى وجوانبها العملية في تاريخ العلم الموسيقي.

كما حدد تأثير الموسيقى في الحضارة الإسلامية على الحياة اليومية في مدن أوروبا، وموسيقى إسبانيا وإيطاليا وبريطانيا والدول الأوروبية. ومن هذا المنطلق، يسلط بحثه الضوء على التساؤل التالي: هل نشأ علم الموسيقى الأوروبي في العصور الوسطى تحت تأثير العلماء المسلمين، أم تحت تأثير العلماء اليونانيين – كما زعم معظم المستشرقين؟ أم أن كل تلك الآلات الموسيقية التي تعتبرها الحضارة الأوروبية ملكاً لها، هي في الحقيقة نتاج بحث دقيق استمد جذوره من الحضارة اليونانية وكان مصدراً لعلماء العصور الوسطى؟

٠- ١. أهمية هذا البحث:

استطاع فارمر، بفضل اعتماده منهجية المقارنة، أن يكتشف نظريات موسيقية ونُظماً منهجية في تاريخ موسيقى الحضارة الإسلامية، كانت من إبداع العلماء المسلمين. وقد أثبت بالأدلة العلمية تأثير تلك النظريات على النظرية الموسيقية الغربية والمسيحية الغربية. كما كان له دور في تحديد مصادر علماء وموسيقيي ومنظري الموسيقى المشهورين في الغرب خلال العصور الوسطى.

هذا فضلاً عن إعادة اكتشافه لـ(٩٠) آلة موسيقية تنتمي للحضارة الإسلامية، وتحديده لتأثير تلك الآلات على الحياة اليومية لشعوب مختلف الدول الأوروبية وعلى الجانب العملي.

من هذا المنظور، يجيب هذا البحث على الأسئلة التالية: ما هو تأثير الجانبين النظري والعملي للموسيقى الإسلامية على الحضارة الغربية؟

٠-٢ . مشاكل البحث:

ألف فارمر العديد من البحوث حول الموسيقى الإسلامية وتأثيرها على الموسيقى الغربية، ولم نتمكن ضمن نطاق هذا البحث من تناول جميع جوانب منهجه. هذا بالإضافة إلى أنه نشر أكثر من خمس دراسات في مجلة "إيزيس" حول الموسيقى الإسلامية، لم نوفق في الحصول عليها، فاضطررنا للرجوع إلى مؤلف جورج سارتون الشهير "مقدمة في تاريخ العلوم"، والذي استشهد بتلك الدراسات كمصادر رئيسية.

ومن الصعوبات الأخرى التي واجهتنا، أن فارمر قام بإعادة تسجيل أكثر من ٢٨ لحناً للفارابي والكندي في جامعة غلاسكو، وهي محفوظة الآن في جامعة غوته–فرانكفورت. وبالإضافة إلى كون التسجيلات الصوتية منشورة على الإنترنت، فقد اكتفينا في هذا البحث بالإشارة إليها فقط.

كما أن المصادر حول السيرة العلمية لفارمر كانت شحيحة جداً. المصدر الرئيسي الذي حصلنا عليه هو نبذة موجزة في كتاب نجيب العقيقي "المستشرقون"، بالإضافة إلى مناقشة مفصلة بالسيرة باللغة التركية في الموسوعة التركية بقلم سعد الدين أوكتين.

٠ – ٣ . خلفية البحث:

بالإضافة إلى الملخص والمقدمة والخاتمة، يتألف البحث من خمسة مباحث:

- **المبحث الأول** : تناول النشاط العلمي لفارمر ومؤلفاته وبحوثه.
- **المبحث الثاني** : تضمن مقارنة بين الجانب النظري للموسيقى في الحضارة الإسلامية والحضارات ما قبل الإسلام.
- **المبحث الثالث** :خُصص للمقارنة بين النظرية الموسيقية الإسلامية والنظرية اليونانية.
- **المبحث الرابع** :ناقش مقارنة النظرية الموسيقية الإسلامية مع النظرية الموسيقية الغربية، وأسلوب ترجمة مخطوطات العلماء المسلمين، ومقارنة الألحان والآلات الموسيقية.
- **المبحث الخامس** :اختتم بمقارنة الجانب العملي للموسيقى الإسلامية والغربية.

٠ – ٤ . مصادر البحث:

اعتمد هذا البحث بشكل أساسي على مصادر المستشرق هنري جورج فارمر، ولا سيما كتابه "Historical Facts for the Arabian Musical Influence"المنشور في لندن عام ١٩٢٦م، الذي شكل المصدر الرئيسي.

كما شكَّل كتاباه "The Sources of Arabian Music" و "The History of Arabian Music"(باللغة الإنجليزية) مصادر أساسية أيضاً. وبخصوص تأثير النظرية الموسيقية الإسلامية، تم الاستفادة من بحوث فارمر المنشورة في مجلة"Isis" ، وخاصة بحثه المنشور عام ١٩٢٥م بعنوان."The Arabian influence on musical theory"

وللتحقق من مصادر فارمر، تم الاعتماد على المؤلف الشهير لجورج سارتون "Introduction to the History of Science"(ثلاث مجلدات باللغة الإنجليزية)، وكذلك على كتابي فؤاد سزكين "الإسلام والعلم والتقنية" و"العصر الذهبي المجهول"، واللذين شكلا المصادر الرئيسية لفصول هذا البحث.

١ – السيرة العلمية والنشاطات العلمية للمستشرق فارمر:

1. 1. السيرة العلمية لفارمر

ولد هنري جورج فارمر عام ١٨٨٢م في مدينة بير الأيرلندية. بدأ تعلم العزف على آلات موسيقية مثل البيانو والكمان والتأليف الموسيقي في مدرسة المدينة وهو في الثامنة من عمره

(ÖKTEN, 1995, C:12, P.173).يرجع هذا الاهتمام المبكر جزئياً إلى مهنة والده العسكرية في فوج أمير ويلز، ونشأته في أسرة أيرلندية بارزة في بيئة عسكرية، وكذلك إلى أن المدينة التي ترعرع فيها اشتهرت بكونها موطناً للملحنين والموسيقيين ووجود متاجر لبيع الآلات الموسيقية فيها، مما سهل عليه أن يصبح تلميذاً لجورج ألفريد جيبسون ويتعلم العزف على الكمان (J.Katz,1932,p.18).

وبفضل موهبته الموسيقية، انتقل إلى لندن في سن الرابعة عشرة وانضم إلى الفرقة الموسيقية للمدفعية الملكية البريطانية. كانت وظيفته الأولى في تلك الفرقة عازف كمان. في عام ١٩١٠م، عُين مديراً لمسرح برادوي في لندن وبقي في هذا المنصب لأربع سنوات، ثم انتقل إلى اسكتلندا ليصبح قائداً لأوركسترا مدينة غلاسكو، وبقي في هذا المنصب حتى تقاعده في عام ١٩٤٧م (ÖKTEN,1995,C:12,P.173).

حصل فارمر على درجة الدكتوراه عام ١٩٢٦م من جامعة غلاسكو، وكانت أطروحته بعنوان "تاريخ الموسيقى العربية حتى القرن الثالث عشر"، والتي نُشرت في لندن عام ١٩٢٩م. هذا الكتاب لفت انتباه معظم مؤرخي الموسيقى الأوروبيين ويعتبر بمثابة ثورة في تاريخ موسيقى العلماء المسلمين.(ÖKTEN,1995,C:12,P.174)

بعد خدمة طويلة في جامعة غلاسكو، انتقل في عام ١٩٤٦م للعمل كأستاذ في جامعة الملك فؤاد الأول (جامعة القاهرة حالياً)، لكنه استقال بعد فترة قصيرة بسبب المرض. توفي عام ١٩٦٥م في مدينة لاوتون باسكتلندا.(ÖKTEN,1995,C:12,P.173)

2. 1. النشاط العلمي لفارمر

اكتسب فارمر شهرة كبيرة في اسكتلندا بفضل أبحاثه وكتبه، لدرجة أصبح مستشاراً موسيقياً. فقد عمل كمستشار موسيقي للإذاعة البريطانية (BBC) الاسكتلندية بين عامي ١٩٢٨ و١٩٣٩م، وكان عضواً في مجلس إدارة الأكاديمية الملكية الاسكتلندية (ÖKTEN,1995,C:12,P.173).بالإضافة إلى ذلك، شارك في العديد من المؤتمرات الموسيقية العالمية، ففي عام ١٩٣٢م مثّل بريطانيا في مؤتمر الموسيقى العربية في القاهرة، حيث تم انتخابه رئيساً للجنة تاريخ الموسيقى المسؤولة عن البحث في المخطوطات، وقام بنجاح بأعمال بحثية حول مخطوطات العلماء المسلمين والعلماء الغربيين (ÖKTEN,1995,C:12,P.173 ؛ فارمر،٢٠١٠،ص١٨). كما تم انتخابه عام ١٩٥٣م عضواً في جمعية المكتبة الموسيقية الدولية.(ÖKTEN,1995,C:12,P.173)

بعد ٦٠ عاماً من العمل على تاريخ موسيقى العديد من الحضارات وإتقانه لبحث الآلات الموسيقية عبر التاريخ، مُنح فارمر بعد تقاعده شهادة تقدير من شخصيات بارزة في مدينة غلاسكو. وبفضل شهرته الدولية في مجال الموسيقى ومكانته البارزة في الفن والموسيقى، مُنح العديد من الجوائز ولقب "ملك موسيقى اسكتلندا". بالإضافة إلى ذلك، حصل على درجة الدكتوراه الفخرية من جامعة إدنبرة عام ١٩٤٩م.(ÖKTEN,1995,C:12,P.173)

3. 1. جهود فارمر في جمع المخطوطات

بدأ فارمر حياته الفنية كموسيقي محترف. خلال دراسته الجامعية، تعلم اللغة العربية والفارسية لأن معظم أبحاثه كانت عن الموسيقى الشرقية (العقيقي، ١٩٦٤م، ص٥٣٩).

خاصة خلال الفترة التي عمل فيها أستاذاً في جامعة الملك فؤاد الأول بالقاهرة، بدأ في جمع مخطوطات علماء الموسيقى العرب، وجمع أكثر من ١٦٠٠ كتاب ومخطوطة في هذا المجال وقدمها لمكتبة جامعة غلاسكو الاسكتلندية. ولم يتوقف عند ذلك، بل جمع أيضاً العديد من الآلات الموسيقية الشرقية الأصلية من مصر والدول العربية الأخرى ووهبها لمتحف الفنون في غلاسكو. كما تبرع بعدد من المخطوطات الأصلية لعلماء المسلمين في مجال الموسيقى لمكتبة ميتشل في اسكتلندا.(ÖKTEN,1995,C:12,P.173)

بالإضافة إلى ذلك، جمع مخطوطات علماء الموسيقى بشكل عام وعلماء المسلمين من معظم مكتبات أوروبا، وزار العديد من المكتبات في إيطاليا وإسبانيا وألمانيا وبريطانيا. كانت نتيجة هذا الجهد مجموعة من الأبحاث والكتب في تاريخ العلم الموسيقي. ومن أبرز تلك الكتب التي ألفها عن علم الموسيقى في الحضارة الإسلامية وقام فيها بفحص المخطوطات: "مخطوطات موسيقية عربية في المكتبة البودلية" (لندن ١٩٢٦م)، "تاريخ الموسيقى العربية" (لندن ١٩٢٩م)، "علماء الموسيقى الإغريقية في الترجمات العربية" (مجلة إيزيس ١٩٣٠م)، "الوقائع التاريخية في أثر الموسيقى العربية" (لندن ١٩٣٠م)، "الوقائع التاريخية في أثر الموسيقى العربية" (لندن ١٩٣١م)، وآلات القدماء من أصل شرقي (١٩٣٠م) (العقيقي،١٩٦٤،ج:٢،ص٥٤٠).

١.4. مؤلفاته وأبحاثه:

1.4.1. المجلات

نشر فارمر معظم أبحاثه في مجلة "الجمعية الملكية الآسيوية لبريطانيا العظمى وأيرلندا " (Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland)، ومجلتي "Orientalistische Literaturzeitung"و "Transactions of the Glasgow University". بعد وفاته، قام المؤرخ إيكهارد نويباور (Eckhard Neubauer) بنشر عدد

كبير من أبحاثه عام ١٩٨٦م في معهد تاريخ العلوم الإسلامية في فرانكفورت بألمانيا، تحت عنوان "دراسات في الموسيقى الشرقية" والذي يتألف من مجلدين: المجلد الأول بعنوان "التاريخ والنظرية"، والمجلد الثاني بعنوان "الآلات الموسيقية العسكرية" (Neubauer,1988,p.219-221).

كما لعب دوراً مهماً في إعداد العديد من المعاجم الموسيقية، مثل معجم موسيقيي جورج غروف (لندن ١٩٥٤) وتاريخ موسيقى أكسفورد (لندن ١٩٥٧). ونشر أيضاً العديد من المقالات في صحف ومجلات مثل "ذا ميوزيكال تايمز" و"غلاسكو إيفنينغ نيوز". وكشف الباحثون من خلال دراسة مخطوطاته الخاصة المحفوظة في مكتبة جامعة غلاسكو أنه نشر العديد من الأبحاث في التاريخ والأدب والفلسفة، بل إنه كتب الشعر تحت الاسم المستعار "جيرالد باري" (ÖKTEN,1995,C:12,P.174).

ونشر أيضاً عدة أبحاث في مجلة تاريخ العلوم "إيزيس"، منها: "علماء الموسيقي الاغريقية في الترجمات العربية" عام ١٩٣٠م. بالإضافة إلى ذلك، كتب عدة مقالات لموسوعة الإسلام، مثل: "أرغون القدماء" عام ١٩٣١م، و"الموسيقى العربية"، و"كتابات الفارابي العربية باللاتينية في الموسيقى" (١٩٣١م) (العقيقي،١٩٦٤،ج:٢،ص٥٤٠).

2.4.1. الكتب

تناولت معظم كتب فارمر البحث في الموسيقى الاسكتلندية والإنجليزية وعلماء المسلمين. يعود أول كتاب له إلى عام ١٩٠٤م بعنوان "فرقة المدفعية الملكية"، والذي تضمن مذكراته عن الفترة التي عمل فيها في فرقة المدفعية الملكية. ثم نشر عام ١٩١٢م كتاب "نشأة وتطور الموسيقى العسكرية" في لندن، وقد شكل هذان الكتابان مصدراً للموسيقى العسكرية البريطانية والأوروبية لأنهما تناولا موضوعاً تمت دراسته قليلاً في ذلك الوقت. استمر في نشر كتب عن الموسيقى العسكرية حتى نهاية عمره، وكان آخر إنتاجه عام ١٩٥٠م بعنوان "الموسيقى العسكرية" و"تاريخ فرقة المدفعية الملكية". بالإضافة إلى ذلك، ألف عدة كتب أخرى عن تاريخ الموسيقى الاسكتلندية (ÖKTEN,1995,C:12,P.173).

بالإضافة إلى الكتب المذكورة أعلاه، تناولت معظم كتب فارمر البحث في تاريخ الموسيقى الشرقية. من أبرز تلك الكتب: "التأثير العربي على النظرية الموسيقية" الذي طبع في لندن عام ١٩٥٥م، وناقش فيه تأثير النظرية الموسيقية العربية على الموسيقى الأوروبية (Farmer,1955,pp.23-32). وكذلك كتاب "المخطوطات الموسيقية العربية في المكتبة البودلية" وكتاب "الوقائع التاريخية للتأثير الموسيقي العربي" اللذان طبعا في نفس المدينة، ويُعد

الأخير أشهر كتب فارمر، حيث حدد فيه التأثير الموسيقي العربي على موسيقى العصور الوسطى في أوروبا.(Farmer,1930,pp.32-45)

وكذلك كتاب "أرغن القدماء" الذي نُشر عام ١٩٣١م، والذي كان بحثاً مفصلاً في مجال الموسيقى اعتمد على مصادر عبرية وسريانية وعربية .(ÖKTEN,1995,C:12,P.174) كما أجرى فارمر في كتابه "دراسات في الآلات الموسيقية الشرقية" بحثاً في الآلات الموسيقية للشعوب الشرقية، خاصة تلك التي كانت من اختراع العلماء المسلمين، مثل آلة العود، حيث اعتقد أن هذه الآلة انتقلت من العالم الإسلامي إلى أوروبا (Farmer,1931,p.56;ÖKTEN,1995,C:12,P.174).

ونظراً لأهمية أبحاثه، تُرجمت معظم كتبه إلى اللغة العربية، منها كتاب "مصادر الموسيقى العربية" الذي يُعد من أهم أعمال فارمر لأنه يجمع كل المصادر الموجودة اليوم عن الموسيقى العربية .(ÖKTEN,1995,C:12,P.174) كما ذكر فيه أسماء جميع الكتب التي ألفها العلماء اليونانيون والعلماء الإيرانيون والمصريون، والتي كانت مصادر لعلماء المسلمين في كتابة تاريخ الموسيقى.(Farmer,1939,p.66/73/87)

ولم يقتصر بحث فارمر على تاريخ الموسيقى العربية فقط، بل شمل في كتابه "الدراسات الشرقية: موسيقية في الغالب"، الذي طبع في نيويورك عام ١٩٥٣م، بحثاً في تاريخ موسيقى العديد من الحضارات(Farmer,1953,p.21) ، لأنه كان دراسة شاملة للموسيقى الشرقية، خاصة بحثاً في الآلات الموسيقية لبلاد ما بين النهرين واليونان وتركيا وشبه الجزيرة العربية وأفريقيا (ÖKTEN,1995,C:12,P.174).

بعد نشر أبحاث فارمر، حظيت بترحيب حار من قبل المستشرقين وأصبحت مصدراً رئيسياً لباحثي الموسيقى. يقول مؤرخ تاريخ العلوم جورج سارتون (١٨٨٤-١٩٥٨م): "في الحقيقة، كتب هنري جورج فارمر الكثير من الأبحاث عن الموسيقى العربية، وكلنا مدينون له " (Sarton,1947,v:3,p.165).

3.4.1. الترجمات

لم يقتصر عمل فارمر على جمع المخطوطات العربية من مكتبات العالم، بل ترجم معظم المخطوطات إلى اللغة الإنجليزية. ومن بين أعماله البارزة، لم يقم فقط بجمع كتب علماء المسلمين باللغة العربية القديمة، بل أجرى بحثاً في معظم تلك الكتب التي تُرجمت إلى اللغة اللاتينية وقارن بين الترجمتين العربية واللاتينية. خاصة مخطوطات الفارابي، وكان أهم أعماله ترجمة كتب الفارابي عن الموسيقى من العربية واللاتينية إلى الإنجليزية، تحت عنوان "كتابات

الفارابي العربية–اللاتينية في الموسيقى"، والذي نُشر في غلاسكو عام ١٩٣٤م، وفاز بسببه بجائزة "توماس هانتر" الاسكتلندية.(ÖKTEN,1995,C:12,P.174)

كما ترجم في عام ١٩٣٧م جزءاً خاصاً بالآلات الموسيقية من كتاب "سياحة نامه" لأوليا جلبي من التركية إلى الإنجليزية، تحت عنوان "الآلات الموسيقية التركية في القرن السابع عشر: كما وصفها أوليا جلبي في سياحة نامه". جمع هذا العمل كل الآلات الموسيقية التركية الموجودة في القرن السابع عشر والمذكورة في كتاب "سياحة نامه" لأوليا جلبي، وهو في الواقع ترجمة لجزء خاص من الكتاب مخصص للآلات الموسيقية الشرقية من التركية إلى الإنجليزية .(Farmer,1999,pp.21–33)

٢. مقارنة علم الموسيقى الإسلامي والشرقي واليوناني:

1. 2. مصادر فارمر لكتابة تاريخ الموسيقى الشرقية والغربية

اعتمد فارمر في كتابة تاريخ موسيقى الحضارة الإسلامية على كتب علماء الموسيقى ومؤرخي المسلمين في القرون الوسطى، وخاصة كتاب "الأغاني" لأبي الفرج الأصفهاني، وكتاب ابن عبد ربه (ت. ٩٤٠م). الكتاب الأول يتألف من خمسة وعشرين مجلداً، وعن أهميته يقول: "يحتوي على مجموعة من القصائد الموسيقية منذ عصر ما قبل الإسلام وحتى القرن التاسع الميلادي، مع تفاصيل سير المؤلفين والملحنين والمطربين وعازفي الآلات وأدب الموسيقى. وهو بعد عدة قرون من تأليفه لم يفقد قيمته العلمية، ولم يُكتب كتاب مماثل له من قبل أي مؤلف أوروبي غربي.(Farmer,1926,p.13) "

شكلت الكتب التاريخية للمؤرخين المسلمين المصدر الرئيسي لهذا المستشرق في كتابة تاريخ الموسيقى. في أحد أبحاثه ذكر أسماء جميع تلك الكتب التي كانت مفيدة جداً لكتابة تاريخ الموسيقى، وخاصة كتاب "الفهرست" لابن النديم، والطبري وابن القفطي ومؤرخين آخرين. وفي هذا الصدد يقول: "إذا نظرنا إلى كتب ابن القفتي وابن أبي أصيبعة، أو أبي الفدا، يمكننا أن نرى قائمة لا حصر لها من منظري الموسيقى وأدب الموسيقى العربية.(Farmer,1926,p.13) "

2. 2 . مقارنة الألحان وقصائد الغناء الفارسية والإسلامية

من خلال النصوص الموجودة في كتب علماء المسلمين، حدد فارمر مصادر العلماء المسلمين، كأول حضارة يذكر علماؤها مصادر أسلافهم التي استفادوا منها. ولهذا لم يُرجع مصادر النظرية الموسيقية العربية إلى كتب العلماء اليونانيين فقط، بل رجعها إلى مصادر من كتب الفارابي عن موسيقى حضارات بابل وآشور.(Farmer,1926,p.51)

كما وقف فارمر في أبحاثه ضد رأي المستشرقين مثل (شاجوان شليسنجر)، الذي كان يعتقد أن ثقافة وحضارة الإسلام استمدت مصادرها من القبائل العربية البدوية، وأن الموسيقى اليونانية القديمة مصدرها من الجزيرة العربية، وأن العرب لم يملكوا أي نظرية خاصة بهم سوى ما أخذوه من الفرس واليونانيين. يقول: "في الحقيقة، كان اليونانيون مدينين ثقافياً للعرب. وهوميروس وغيره يعتقدون أن اليونانيين ربما أخذوا تلك المعرفة من جنوب الجزيرة العربية، خاصة علماء مثل أبولو وليتو وديونيسوس وهيرميس.(Farmer,1926,p.49) "

كانت حجج شليسنجر مشابهة لرأي المستشرقين الآخرين، لأن العلماء المسلمين اخترعوا نظرياتهم الموسيقية نتيجة جمعهم لآلات وكتب معظم الحضارات التي سبقتهم، لكن ذلك المستشرق أرجع تلك الابتكارات إلى الحضارات السابقة، وخاصة حضارة (الحيرة). لكن فارمر رد على تلك الآراء، مشيراً إلى أن الملك الفارسي الشهير (بهرام غور) (ت. ٤٣٠م) أرسل علماء إلى المدن العربية لتعليمهم علم الموسيقى. وحجة أخرى لذلك المستشرق كانت أن الملك الساساني (يزدجرد الأول) أرسل أميره إلى شبه الجزيرة العربية لتعلم تقنيات الآلات الموسيقية (Farmer,1926,p.53).

للبحث عن أصل النظرية الموسيقية التي ظهرت في الحضارة الإسلامية، قارن فارمر علم الموسيقى بين الحضارة الإسلامية والحضارة الفارسية. لهذا استفاد من أبحاث المستشرقين السابقين له، واعتقد أن مصادر تلك النظرية لم تكن كتب العلماء اليونانيين فقط، بل استفادوا من معظم الحضارات، وكان ضد الآراء القائلة بأن النظرية الموسيقية قد نشأت في حضارة سورية، كما فعل في تلك المقارنة النموذجية بين العلماء الفرس مثل (طويس) (ت. ٧١٠م) و (سعيب خاصر) (ت. ٦٨٣م). حيث اعتقد شليسنجر أن الموسيقيين المسلمين قلّدوا أسلوب غناء الفرس، فردّ فارمر قائلاً: "كان تأثيراً سطحيًا ولم يكن له تأثير على النظرية الموسيقية " (Farmer,1926,p.53).

حتى أنه انتقد (ابن خلدون) الذي اعتقد في كتابه (المقدمة) أن الموسيقى الفارسية والبيزنطية القديمة كان لها تأثير عميق على الجانب العملي للموسيقى العربية، لأن العلماء المسلمين كان لديهم مجموعة من الآلات مثل: (العود) و (الباندور) و (الباربيتون) و (المعزف) و (الميزمار)، وأخذوا الألحان (الميلودي) الفارسية والبيزنطية لقصائدهم، أي أن الآلات وقصائد الألحان كانت من اختراعهم، لكنهم أخذوا الألحان.(Farmer,1926,p.53)

وهذا ما دفع فارمر لمقارنة ألحان علماء المسلمين مثل الفارابي مع الألحان الفارسية والبيزنطية، وذلك بفضل الأوركسترا التي أسسها في اسكتلندا، حيث أعاد تسجيل ألحان الفارابي، والتي كان

هناك فرق كبير بينها. لهذا جمع معظم رسائل وكتب الفارابي. وفي هذا الصدد يقول: "حصلنا على رسائل خاصة بالموسيقى، يعود تاريخها إلى القرن التاسع الميلادي ولدينا أدلة أن تاريخ بعض تلك الرسائل يعود إلى القرن الثامن الميلادي. في الحقيقة، كل ما نعرفه عن الموسيقى الفارسية المبكرة، بالإضافة إلى ما تخبرنا به الفنون، هو أن مصادرها جاءت من المصادر العربية.(Farmer,1926,p.56) "

كما وجد فارمر في نصوص مؤرخين مثل المسعودي (ت. ٩٥٦م) وابن خرداذبة، اختراعات العلماء الفرس في مجال الموسيقى، حيث اعتبر الفرس مبتكري (الإيقاع) و (الكسرة) و (اللحن)، لكنهم اعتقدوا أن ذلك لم يؤثر على الموسيقيين العرب، بحجة أن دين الإسلام لم يسمح بالموسيقى.(Farmer,1926,p.56)

3. 2 . مقارنة موسيقى الشرق وموسيقى اليونان

كما وقف فارمر ضد رأي المستشرقين مثل شليسنجر، الذي كان يعتقد أن فن وعلم الموسيقى الأوروبي استمد مصادره من الحضارة اليونانية، وأن الشعوب الأخرى لم تمتلك تلك المعرفة. وفي هذا الصدد يقول: "بينما يمكن الاعتراف بأن اليونان وحدهم بين جميع الشعوب القديمة نقلوا نظامهم الموسيقي بشكل كامل، إلا أن هذه الحقيقة لا تعني أننا نستنتج أن النظرية الموسيقية بدأت فقط في اليونان، أو أن الشعوب القديمة الأخرى لم تمتلك نظرية موسيقية. بل إن تلك المعرفة داخل اليونانيين أنفسهم، وكذلك داخل الرومان، كانت ميزات الحضارة اليونانية الملفتة للنظر، بما في ذلك فن وعلم الموسيقى، قد جاءت من الشرق.(Farmer,1926,p.120) "

ولهذا، قدّر أبحاث مؤرخي الموسيقى مثل (لامبليتشوسمان) الذي قال إن مصادر العلماء اليونانيين في علم الموسيقى كانت من حضارة بابل وحضارات أخرى. كانت معظم الحضارات الشرقية تمتلك علم الموسيقى، وجمعه اليونانيون. على سبيل المثال: في حضارة بابل كانت هناك موسيقى مبنية على أساس علم الفلك، أو لدى الساميين في سهول بلاد ما بين النهرين، كانت لديهم (نظرية الأعداد)، وكان لديهم مفهوم الإيثوس، الذي نقله اليونانيون بعد ذلك للعلماء .(Farmer,1926,p.120)

عاد فارمر إلى الحقائق التاريخية، ولهذا بحث عن مصادر الموسيقى اليونانية واعتقد أن علم الموسيقى اليوناني مصدره من الشرق، وقدم عدة أمثلة مقارنة. على سبيل المثال: الإله أبولو إله الموسيقى عند اليونانيين، أتى من اسم (جوبال) عند الساميين. كما ذكر الموسيقي اليوناني (ديودورس سيكولوس)، الذي ذكر اسم الموسيقي السامي (لينوس)، الذي قدم الشعر والموسيقى لأول مرة لليونانيين، كما علم (كادموس) السامي العلماء الحروف.(Farmer,1926,p.121)

كما قارن المصادر البابلية واليونانية واعتقد أنه من المثير للاهتمام أن عالِمَي الموسيقى اليونانيين (أورفيوس) و (أمفيون)، أخذوا أسماءهم وعلم الموسيقى من الإله (أششيبو) البابلي، حتى وصل إلى الجغرافي سترابو وتلك الحقيقة التي أظهرها بأن كل الموسيقى اليونانية كانت شرقية. وفي النهاية يقول: "في الحقيقة، كان اليونانيون مدينين في علم الموسيقى لعلماء الشرق ". (Farmer,1926,p.121).

3. 3 . مقارنة علم الموسيقى اليوناني والإسلامي

٣.3. 1. مقارنة الجانب النظري للموسيقى الإسلامية والموسيقى اليونانية

نتيجة لاستخدامه منهجية المقارنة، أرجع فارمر ابتكار النظرية الموسيقية إلى علماء المسلمين وقارن نظرياتهم بنظريات الموسيقى اليونانية والبيزنطية، وأرجع اكتشاف (نظرية الموسيقى) إلى علماء المسلمين. كما يقول هو نفسه: "كتبت كتب نظرية الموسيقى من قبل العلماء المسلمين أنفسهم. في جزء كبير من كتب الكندي والفارابي وابن سينا توجد تلك النظرية وكان لهم دور مهم في وضع نظرية الموسيقى، خاصة في مجال فيزياء الموسيقى ووصف مفصل للآلات الموسيقية.(Farmer,1926,p.27) "

اعتبر فارمر الكندي مؤسس الموسيقى الإسلامية وأول عالم مسلم، تم ترجمة مخطوطاته إلى اللغة اللاتينية بواسطة (جيرارد الكريموني)، وكان له دور مهم في تحديد النغمات، حتى أن تأثيره كان قوياً لدرجة أنه كان محسوساً بشكل كامل في تاريخ ما بعده، واعتبره (كاردانو) واحداً من أعظم ١٢ عقلًا في تاريخ البشرية.(Sarton,1027,v:1,p.559)

كما اعتبر فارمر العالم الإسلامي (الفارابي) واضع تلك النظرية، خاصة في كتابه (كتاب الموسيقى) وضع نظرية الموسيقى، وقدم بعض المعلومات عن النسبة ٤:٥ و ٥:٦ كمقامات (Sarton,1927,v:1,p.628).

وفقاً لرأي فارمر، فإن نظرية الموسيقى وضعها إسحاق الموصلي (ت. ٨٥٠م)، وفي تاريخ العلوم يعتبر ذلك العالم مبتكر نظرية الموسيقى. كما يقول هو نفسه: "كتبت تلك النظرية عندما كانت النظريات اليونانية القديمة تُترجم إلى العربية. لكن لدينا معلومات مؤكدة أن إعادة صياغة تلك النظرية تمت دون الاستعانة بالكتّاب اليونانيين". ثم كدليل، استشهد بنص من كتاب (الأغاني) للأصفهاني، أن ذلك العالم أكمل (المقامات) و (الإيقاعات) وصنفها بطريقة غير معروفة حتى الآن. ثم يقول: "إسحاق الموصلي قام بهذا العمل بمفرده، لم يستخدم كتب العلماء اليونانيين ولم يعرف نظريات اليونان القدماء." ثم بعد مقارنتها بنظريات علماء الفرس والبيزنطيين، يصل إلى

نتيجة أن هذا النظام كان من النظام الفارسي والبيزنطي واليوناني القديم (Farmer,1926,p.59).

كما أن في القرن الثامن الميلادي، كتب يونس الكاتب (ت. ٧٦٠م) كتاب (النغم)، ثم حدد مصادر ابتكار النظرية الموسيقية، والتي حسب رأيه أخذت من كتاب (الأغاني) لأبي الفرج الأصفهاني .(Farmer,1926,p.60) ذلك الكتاب يتألف من ٢٤ مجلداً، واعتبره المصدر الرئيسي للنظرية الموسيقية، لأنه حسب رأيه تم جمع ذلك العمل تحت إشراف الخليفة (هارون الرشيد)، من قبل ثلاثة موسيقيين كبار، ووضعه إسحاق الموصلي في الجانب العملي وأنتج منه أكثر من ١٠٠ لحن غنائي .(Sezgin,2008,c:1,p.24) كما يقول فارمر نفسه: "ذلك الكتاب يزودنا بمعلومات عن حياة الموسيقيين وعلماء الموسيقى ونظرية الموسيقى والجانب العملي وكذلك قصائد الغناء والألحان والشعراء أنفسهم، كما يزودنا بمعلومات عن الحياة الخاصة للخلفاء الأمويين والعباسيين.(Farmer,1953,c:54/1-10) "

ثم ذكر أسماء جميع العلماء المسلمين الذين طوروا تلك النظرية، ومنهم: يونس الكاتب (ت. ٧٦٠م)، الكندي (ت. ٨٧٤م)، السرخسي (ت. ٨٩٩م)، كورة كي موسى، (ابن خرداذبه)، ثابت بن قرة (ت. ٩٠١م)، منصور بن طاهر بن طاهر (ت. ٩٠٠م)، عبيد الله بن عبد الله بن طاهر (ت. ٩١٢م)، قسطا بن لوقا، الرازي، الفارابي، إخوان الصفا، الخوارزمي، مسلمة المجريطي، أبو الوفاء البوزجاني، ابن باجة، ابن سينا، ابن رشد وغيرهم كثير .(Farmer,1926,p.28) كما اعتبر فارمر ابن سينا واحداً من واضعي تلك النظرية، خاصة في كتابه (القانون) قسم (موسيقى الشفاعات) خطوة مهمة نحو النظام الهارموني، مع الأخذ في الاعتبار سلسلة المقامات التي هي سلسلة(n+1) ، ولاحظ أنه عندما n=3 تبدأ الفترات بنغمة متجانسة، وعند قيمة n=45 ، لا تستطيع الأذن تمييزها. وهذا ما دفع جورج سارتون وفارمر إلى الاعتقاد أن معلومات هذين كانت متقدمة جداً عن معلومات علماء القرون الوسطى، في ذلك الموضوع (Sarton,1927,v:1,p.710).

حتى أن المعلومات النظرية كانت واسعة جداً، فحسب رأي فارمر في القرن الثالث عشر الميلادي، وصل علم الموسيقى في الحضارة الإسلامية إلى مستوى متقدم جداً، وحتى ظهر الابتكار في الجانب العملي للموسيقى، خاصة استخدام القصيدة التعليمية على الألحان من قبل محمد الخطيب الأربلي والذهبي وصفى الدين الذي وصل إلى الذروة، والذي كان التقليد الرئيسي للموسيقى الإسلامية .(Sarton,1947,v:3,p.146) حتى استخدام ودمج فكرة الجغرافيا وعلم

الفلك مع فكرة الموسيقى كان من ابتكار محمد الخطيب الأربلي (Sarton,1947,v:3,p.748).

2. ٣.3 . نظرية الموسيقى الإسبانية والموسيقى الإسلامية

وفقاً لأبحاث فارمر، كانت معظم نظريات الموسيقى في إسبانيا تابعة للشرق، وكان الكثير من إنتاجها معروفاً في الغرب. أرجع بداية تطور نظرية الموسيقى في إسبانيا إلى القرن التاسع الميلادي. وكانت أول مدرسة للموسيقى في إسبانيا، أسسها الموسيقي المسلم (زرياب) عام ٨٢٢م في مدينة قرطبة، وتمت دراسة نظريات الموسيقى لـ(يونس الكاتب) وأبي إسحاق الموصلي، كما اخترع أبو العباس ابن فرناس (ت. ٨٨٨م) عدة آلات موسيقية جديدة ونظرية موسيقية جديدة.(Farmer,1926,p:28)

هذا بالإضافة إلى أن العباس بن فرناس أحضر نظريات الفارابي الموسيقية إلى إسبانيا وتحدث عنها دون منازع، كما ذكره المصادر الأوروبية مثل أساتذة الموسيقى، وكان ملك توليدو في ذلك الوقت المسمى (البابا سلفستر) تلميذاً له.(Farmer,1926,p:29)

بعد كل هذا، اعتبر فارمر المسيحيين الإسبان هم سبب نقل الثقافة الإسلامية إلى أوروبا، والذي يعود تاريخه إلى القرن التاسع الميلادي وبدأ بترجمة مخطوطات العلماء المسلمين في مجال الموسيقى. ولهذا الغرض، في القرن الحادي عشر الميلادي، تم إنشاء قاموس (عربي–لاتيني) (Farmer,1926,p:29).

٤. مقارنة نظرية الموسيقى الإسلامية والموسيقى الأوروبية:

1.4.أسلوب ترجمة المخطوطات الإسلامية

بحسب رأي هنري جورج فارمر، كانت إيطاليا وخاصة جزيرة صقلية ونابولي، سبباً في نقل معظم الكتب الموسيقية إلى الغرب. وأسس ملوك مثل (روجر الثاني) و(فريدريك الثاني) (ت. ١٢٥٠م) عدة جامعات لترجمة كتب العلماء المسلمين من العربية إلى اللاتينية. ثم يقول: "مدينة صقلية، سواء من الناحية التاريخية أو الجغرافية، كانت نقطة التقاء طبيعية للحضارة العربية واللاتينية واليونانية، وكانت طريقاً رئيسياً لنقل الفن الشرقي إلى الغرب.(Farmer,1926,p.23) "

تُرجمت أشهر أعمال العلماء العرب إلى اللغة اللاتينية، وخاصة كتب علماء مثل: (إسحاق بن عمران)، (محمد بن زكريا الرازي)، (إسحاق الموصلي)، (ابن سينا)، (ابن رضوان، الزهراوي، البتاني، الفرغاني، مسلمة المجريطي، وابن الهيثم، كورة كي موسى، ثابت بن قرة، والفارابي، وابن ميمون، وابن رشد) ومئات المخطوطات الأخرى لعلماء المسلمين من العربية إلى اللاتينية، والتي

حسب رأيه كان لها تأثير على نشأة عصر النهضة، كما يقول هو نفسه: "ترجمة كتب العلماء المسلمين كان لها تأثير مباشر على نشأة عصر النهضة.(Farmer,1926,p.26) "

وخاصة كتب الفارابي، تحت عنوان (De scientiis) و (De ortu scientiarum) إلى اللغة اللاتينية، وكتاب (Kitab al-Muslql) باللغة اللاتينية نُشر. كما تُرجمت معظم كتب الكندي وثابت بن قرة وابن سينا الرازي والفارابي إلى اللغة اللاتينية. ثم يقول: "كانت الموسيقى ذلك العلم الذي جذب انتباه الكنيسة، ويجب أن نتذكر أن عصر النهضة كان لا يزال في مهده، وبفضل ترجمة تلك الكتب كان لها تأثير كبير على الجانب الفكري والأدبي الأوروبي ".(Farmer,1926,p.27).

كما حدد فارمر جميع الطرق التي مرت من خلالها مخطوطات العلماء المسلمين. إحدى تلك الطرق كانت إيطاليا، وخاصة دور المستشرق (قسطنطين الأفريقي) (ت. ١٠٨٧م)، الذي قضى في الفترة بين (٩٧٢-١١٤٨م) لمدة ٣٩ عاماً في دول الشرق لجمع مخطوطات العلماء المسلمين. وكان أول مكان ذهب إليه هو بلاد بابل، حيث أصبح هناك تلميذاً للعلماء المسلمين ودرس معظم العلوم، وأجرى هناك بحثاً في الموسيقى الكلاسيكية والموسيقى العربية والفارسية والمصرية. بعد ذلك ذهب إلى الهند ثم عاد إلى مصر عبر إثيوبيا واستقر في (قرطاج)، وبسبب معلوماته الهائلة أشتبه فيه كجاسوس واضطر للعودة إلى مدينة (ساليرنو)، حيث كرمه ملك صقلية، حتى تقاعد في دير (مونتي كاسينو).(Farmer,1926,p:27)

وفقاً لأبحاث فارمر، كان تأثير ذلك المستشرق كبيراً على الثقافة العلمية لأوروبا الجنوبية، قضى معظم عمره في ترجمة مخطوطات العلماء المسلمين إلى اللغة اللاتينية. كان لقسنطين وتلاميذه تأثير قوي على الثقافة العلمية لأوروبا الجنوبية، وقضى سنواته الأخيرة في ترجمة العلوم العربية إلى اللغة اللاتينية. كل تلك العلوم التي تعلمها في بابل وصقلية والمدن الإسلامية، نقلها ذلك العالم وتلاميذه إلى جنوب أوروبا، ونشأ عدة علماء موسيقى في القرن الثالث عشر، منهم: عالم الموسيقى الشهير (يوهانس إيجيديوس زامورينسيس).(Farmer,1926,p:35)

٤. ٢ . تزوير مخطوطات العلماء المسلمين

كان أحد اكتشافات فارمر، بفضل منهجية المقارنة، كشفه لنصوص مزورة وكتب كاملة لعلماء المسلمين من قبل علماء الغرب، في مجال الموسيقى. وقسم ذلك التزوير إلى ثلاثين مرحلة، وأرجع بداية ذلك التزوير إلى بداية القرن العاشر الميلادي، وخاصة في كتب (برنيلينوس) (ت. ٩٩٠م)، وجربيرت (ت. ١٠٠٣م)، وهيرمان كونتراكت (١٠٥٤م)، الذين اكتشف أنهم في الغرب معروفون كمبتكري نظرية الموسيقى وكتّاب الموسيقى في الغرب.(Farmer,1926,p.25)

أرجع المرحلة الثانية إلى بداية القرن العاشر الميلادي، وخاصة ذكر أسماء جميع أولئك المترجمين الذين زوروا الكتب الموسيقية. بدأ هذا التزوير أولاً بواسطة: قسطنطين الأفريقي (ت. ١٠٨٧م)، ثم استمر بواسطة: بيتروس ألفونسي (ت. ١١٠٦م)، أبراهام بن حيا (ت. ١١١٦م)، أديلارد أوف باث (ت. ١١٢٠م)، ستيفن الأنطاكي (ت. ١١٢٧م)، بيتر من مونتي كاسينو (ت. ١١٢٧م)، سانتالا (ت. ١١٣٠م)، جون سيفيليا (ت. ١١٣٥م)، هيرمان كارينثيا (ت. ١١٣٨م)، روبرت ريتين (ت. ١١٤١م)، رودولف بروجز (ت. ١١٤٤م)، أفلاطون التيفولي (ت. ١١٤٥م)، يوجينوس الصقلي (ت. ١١٥٤م)، جيرارد الكريموني (ت. ١١٨٧م) (Farmer,1926,p.25).

3.4. مقارنة الآلات الموسيقية

شكلت أبحاث فارمر جزءاً كبيراً من البحث في الآلات الموسيقية العربية. وأي باحث يدرس كتب وأبحاث فارمر، يرى مباشرة تأثير الموسيقى العربية على موسيقى العصور الوسطى، وكيف كانت الموسيقى العربية مرتبطة بالموسيقى اليونانية. كما كان لفارمر تأثير على آلات العصور الوسطى وتأثير على كتاب اليهود والسريان (العقيقي،١٩٦٤،ج:٢،ص٥٤١).

أرجع فارمر صنع تاريخ الآلات الموسيقية للحضارة الإسلامية، منها: (البيانو) كان آلة موجودة في العصر الذهبي للإسلام، وهي نفس تلك الآلة التي كانت موجودة في العصر الفيكتوري، وكانت تستخدم في الحفلات الكبيرة وحتى في حفلات الزواج. حتى أن أسماء معظم الآلات الموسيقية مأخوذة من اللغة العربية.(Farmer,1926,p:13)

كما أن أحد اكتشافات المستشرق فارمر، كان تحديد جميع تلك الآلات التي أخذ اسمها ومصدرها من الحضارة الإسلامية، وخاصة أسماء تلك الآلات المحفوظة في مخطوطات (خوان رويز) الإسباني، التي يعود تاريخها إلى القرن الرابع عشر الميلادي، وخاصة الآلات الموسيقية: (لاود، راب موريسكو، كاهون، أتامبور، جيتارا موريسكا، تامبوريتي، باندير يت، جيتار، كسابيبا، البوجون، أنافيل وأتامبال، دولسينا، أدف، إكساكير، شيرميا وزيلاميمان). ثم يقول: "بالإضافة إلى أن أسماءها مأخوذة من العربية، فإن كل تلك الآلات مأخوذة من المصادر العربية ". (Farmer,1926,p:14).

كما حدد فارمر تأثير الموسيقى العربية على عامة الشعب الأوروبي. على سبيل المثال: في البرتغال، استخدمت معظم الآلات الموسيقية العربية في الرياضات والحفلات، وأسماء معظم الآلات عربية. وكذلك في فرنسا، اعتبر تأثير التجارة مع الملك (شارلمان) مع الدول العربية سبباً في تعريف الآلات الموسيقية. معظم تلك الآلات مرسومة على هوامش المخطوطات

.((Farmer,1926,p.16)ثم يقول: "كان للموسيقى العربية من الناحية النظرية والعملية تأثير كبير على الموسيقى الأوروبية في العصور الوسطى، ويبدأ الشعور بهذا التأثير أولاً في سانت غال.(Farmer,1926,p.16) ".

كما أرجع فارمر معظم الآلات الموسيقية للحضارة الإسلامية. على سبيل المثال: الأيوبيون أحضروا آلتين جديدتين (بوليلوت) إلى مصر، كانت لهما صوت عالٍ، وكان لهما خمسة أوتار مزدوجة، وكان يعزف عليها بثلاثين وتراً.((Farmer,1926,p.209)

والتي حسب رأيه كانت الآلات الموسيقية الأكثر تأثيراً على أوروبا الغربية. وفي هذا الصدد يقول المؤرخ كارل أنجل: "العرب، عندما جاءوا إلى أوروبا في القرن الثامن الميلادي، كانوا أكثر تقدماً في صنع الآلات الموسيقية من الشعوب الأوروبية .((Farmer,1926,p.59) "كما انتقد فارمر المستشرق (شاجوان شليسنجر)، الذي يعترف تماماً بأن أوروبا في العصور الوسطى كانت مدينة للعرب، لكن ذلك المستشرق أنكر أن تكون نظرية الموسيقى الأوروبية تحت تأثير نظرية الموسيقى العربية، بل كان التأثير أكثر من خلال الآلات الموسيقية، لكن فارمر دحض ذلك الرأي.((Farmer,1926,p.60)

كان أحد اكتشافاته المهمة جمع ودراسة آلات الموسيقى للشعوب الشرقية في العصور الوسطى، والتي كانت المصدر الرئيسي لكتابه عن رحلة (كاتب جلبي)، الذي ذكر في أجزاء مختلفة من ذلك الكتاب أسماء كل تلك الآلات، وذكر أكثر من ٩٠ آلة موسيقية لتلك الشعوب، كانت من اختراع العلماء المسلمين، واستخدم معظمها في الطقوس الدينية والحفلات الرسمية، ولا تزال معظم تلك الآلات الموسيقية مستخدمة حتى الآن.(Farmer,1999,pp:311)

كما وصف أحد الباحثين ذلك الكتاب بأنه مكتبة كبيرة لآلات الموسيقى، ويقول في هذا الصدد: "وصف فارمر في عام ١٩٣٧م الآلات التركية من كتاب (سياحة نامه) لأوليا جلبي، والذي يعتبر أفضل جمع ومصدر للموسيقى العربية، حيث يدخل في مكتبة للموسيقى العربية ويضع قائمة كاملة لأولئك العلماء الذين كتبوا عن الموسيقى العربية" (العقيقي،١٩٦٤،ج:٢،ص٥٤٠).

أحد أمثلة تلك الآلات الموسيقية التي كان لها تاريخ قديم جداً، هي آلة (الأرغن – الأرغانون)، حيث أرجع اختراع تلك الآلة للنبي داود، حيث كان يعزف عليها عند قراءة آيات الزبور. ثم يقول: "تلك الآلة منتشرة جداً في دول أوروبا، موجودة في كل الأديرة والكنائس، ولها صفان من المفاتيح ويعزف عليها من قبل الكاهن.(Farmer,1999,pp:35)

4. 4. مقارنة الألحان (الميلودي)

بعد جمع فارمر لعدد كبير من مخطوطات العلماء المسلمين وعلماء الغرب من مكتبات أوروبا ومصر وتركيا، أجرى بحثاً في الألحان الشرقية وقارنها بألحان إسبانيا وإيطاليا في العصور الوسطى، وقارن الألحان بشكل عملي، وصحح العديد من الحقائق التاريخية في تاريخ الموسيقى، وحدد مصادر ألحان ملحني إسبانيا وإيطاليا، لأنه اعتقد أن الألحان الشرقية انتقلت إلى أوروبا بشكل شفهي، وقبل كل شيء في إسبانيا تم ذلك العمل. كما يقول هو نفسه: "نقلت الألحان (الميلودي) إلى إسبانيا شفهياً، لأنه في تلك الأيام لم تكن الألحان فقط، بل حتى القصص والشعر، غالباً ما كانت تنتقل بهذه الطريقة. إسبانيا المسيحية كانت أول دولة أوروبية قامت بهذا العمل. بنظرة سريعة على آلات الموسيقى في إسبانيا في العصور الوسطى، كما هي مرسومة في مخطوطات القرنين العاشر والحادي عشر، وفي كتاب (كانتيجاس دي سانتا ماريا) الذي عاش في (القرن الثالث عشر)، يتضح ذلك جلياً.((Farmer,1926,p:14) "

بعد مقارنة فارمر لألحان علماء الموسيقى الإسبان، بمخطوطات العلماء المسلمين، حدد أسماء وعناوين كل تلك الألحان التي أخذها العلماء الإسبان وأخذوها من كتب العلماء المسلمين، منها: لحن عربي باسم (جبل الغربي) مشابه لألحان (ساليناس) (ت. ١٥٩٠م) الإسباني. وكذلك لحن عربي آخر ذكره الموسيقي الإسباني (خوان رويز) باسم (كاغويل هاكاو) مأخوذ من نفس اللحن. حتى أن كلمة (غناء) بالإسبانية (cana) أتت من الكلمة العربية (أغنية) (Farmer,1926,p:16)).

كما أن لحن الغناء حسب رأي فارمر وصل في القرن الثالث عشر الميلادي إلى ذروة التقدم، وكتب بحثاً مقارناً كاملاً عن منظري الموسيقى في القرن الثالث عشر الميلادي. أحد الذين كانوا مبدعين جداً كان (صفى الدين)، وصفه بأعظم منظري الموسيقى الإسلامية، لأنه بالإضافة إلى كونه ملحناً مشهوراً في عهد الخليفة (المعتصم)، كان في عهد هولاكو معلماً لابني هولاكو، وكتب ثلاثة كتب عن الألحان، والتي حسب بحث المؤرخ جورج سارتون (ت. ١٩٥٨م) كان مخترع آلتين موسيقيتين جديدتين .(Sarton,1931,c:2,p.1035) أشهر كتبه كان (علوم العود والقوافي والبديع)، حيث وضع آلتين خاصتين بالألحان. اعتبره كل من المؤرخ جورج سارتون وفارمر مؤسس مدرسة خاصة للتلحين، باسم مدرسة (النظامية)، وهي نفس تلك المدرسة التي أشار إليها (السير هوبيرت باري)

(Sarton,1931,c:2,p.103;Farmer,1925,c:8,p.508)).وهذا ما دفع فارمر لنشر بحث خاص عن كتاب (الأدوار) لصفى الدين، الذي كُتب عام ١٢٥٢م وكان خاصاً بالألحان (Farmer,1929,c:13,p.376).

٤. ٥. الموسيقى العسكرية

نظراً لأن فارمر عمل في قسم الموسيقى العسكرية للمدفعية الملكية البريطانية، وكان أول كتاب له في مجال الموسيقى عام ١٩٠٤م بحثاً مقارناً في تاريخ الموسيقى العسكرية، فقد أجرى بحثاً في الآلات الموسيقية العسكرية والألحان العسكرية وقارن بين الآلات والألحان (Farmer,1904,pp.22-34).

فارمر، الذي اشتهر كمؤرخ للموسيقى العسكرية، أرجع تأسيس الموسيقى العسكرية في التاريخ إلى الأيوبيين، وأن الصليبيين تحت تأثير الأيوبيين، استخدموا نفس تلك الآلات للموسيقى العسكرية. كان يعتقد أن الموسيقى العسكرية لم تظهر في أوروبا حتى عصر الحروب الصليبية، وسبب ذلك أرجع إلى أن الصليبيين بعد عودتهم نقلوا تلك المعرفة إلى أوروبا، كما يقول هو نفسه: "الموسيقى العسكرية لم تظهر حتى عصر الحروب الصليبية، أحضر الصليبيون عدة تقاليد جديدة من الشرق معهم، منها: أحضروا الطبل والجرس إلى الجيش. وتلك الآلات كثيراً ما تذكر في روايات الحروب الصليبية، وخاصة الطبل ذو الوجهين، الذي حمله بالريتشارد شيردل. بينما كانت تلك الآلات تستخدم من قبل الأيوبيين لمدة مئتي عام للألحان العسكرية، وكانت الموسيقى العسكرية للصليبيين مجرد مزمار.(Farmer,1904,p:13-15) "

	اسم الاجهزة بالعربي	اسم الاجهزة باللغات الاتينية
١-	طبل Tabel	Naqnairc
٢-	Nakcr	Caisse
٣-	طمبور tambour	Quesc
٤-	طابور tabor	Timbalc
٥-	Baldbdn	tymbala
٦-	Dulgayna	jingling johnny
٧-	Sumcr	dotissaine

٨-	Anafil	anaiin
٩-	Alboquic	albogon

يعتقد أن الحروب الصليبية كان لها تأثير كبير جداً في نقل فن الموسيقى إلى أوروبا، وخاصة موانئ بيزا والبندقية وجنوة الكبرى، أصبحت مراكز لنقل فن الموسيقى إلى أوروبا (Farmer,1926,p.16)).

حدد فارمر تأثير الأيوبيين أكثر من خلال الموسيقى العسكرية، حيث يعتقد أن في الحروب الصليبية، كان الجيش المسيحي يتألف من مزمار وبوق فقط، أما في جيش الأيوبي فقد استخدمت آلات موسيقية مثل: (النقارة، الطبل، الكفيس، القصعة، التينيسيل، الطبل الصغير والصرود)، معظمها كانت على شكل طبول، وقد استخدمت كل تلك الآلات بعد الحروب الصليبية، وغيرت أسماؤها((Farmer,1926,p.18) ، كما هو موضح في تلك اللوحة:

(Farmer,1926,p.18)

بعد كل هذا، قام بطباعة ونسخ القطع الموسيقية العسكرية للفارابي من كتابه (إحصاء العلوم)، وجمع معظم القطع الموسيقية الإسبانية و(سعدي الكابلي) و(الكندي)، وقدّمها لمكتبة جامعة غلاسكو الاسكتلندية (العقيقي، ١٩٦٤، ج:٢، ص٥٤١).

كما قارن فارمر الآلات الموسيقية العسكرية العثمانية والغربية، منها: نوع الطبلة العسكرية العثمانية (غازي)، التي كانت موجودة منذ عهد السلطان العثماني الأول عثمان (١٢٨٨-١٣٢٦م)، والتي حسب رأيه كانت مشابهة للطبلة الأسطوانية ذات الوجهين الأوروبية، التي تُقرع بعصا عادية. ويعتقد أنها نفس الطبلة التي كانت موجودة في مرسيليا في عهد أوليا جلبي (Farmer,1999,p:19).

٤. ٦ . تأثير القصص العربية على ملحني الغرب

كان أحد اكتشافات هنري جورج فارمر في تاريخ الموسيقى، هو كشف تأثير القصص الشهيرة على كتابة قصائد الغناء والألحان، مثل بحثه حول قصة (ألف ليلة وليلة)، حيث أجرى متابعة دقيقة جداً لتأثير تلك القصة على الموسيقى. في القسم الأول منها، ذكر جميع أولئك العلماء المسلمين مثل الكندي وإسحاق بن إبراهيم الموصلي (ت. ٨٥٠هـ)، ووصفه بأنه أحد الموسيقيين المشهورين، وتحدث عن تأثير تلك القصة على فنّه (فارمر، ٢٠١٠، ص٣٤). كما أن عبيد الله

بن سريج (ت. ٧٢٦هـ) ومعبد بن وهب (ت. ٧٤٢هـ) كتبا تلك القصة على شكل غناء (فارمر، ٢٠١٠، ص٣٤).

وفي القسم الثالث بعنوان (الموسيقيون في ألف ليلة وليلة)، تناول تأثير تلك القصة على العلماء والموسيقيين والملحنين في العصر العباسي، حيث أصبحت أغنية مشهورة. ثم قارن تلك الأغاني التي قيلت في العصر العباسي مع ألحان القرون الوسطى. وفي هذا الصدد يقول: "كان فنانون قصة (ألف ليلة وليلة) فنانين مهرة وموسيقيين مقتدرين، وكانوا على مستوى فناني القرون الوسطى. حققت معظم تلك الأغاني نجاحاً ملحوظاً" (فارمر، ٢٠١٠، ص٣١).

ثم حدد تأثير غناء وألحان وقصيدة قصة ألف ليلة وليلة على ملحني أوروبا، كما يقول هو نفسه: "يمكننا أن نأخذ مئات الأمثلة من ملحني أوروبا الغربية، حيث يوجد تشابه مدهش مع الأفكار الشرقية. في الحقيقة، لا يوجد فرق بين عبقرية الملحن وعبقرية الساحر. نحن في الحالة نفسها التي نستمع فيها إلى إحدى سيمفونيات بيتهوفن" (فارمر، ٢٠١٠، ص١).

في القسم الختامي، حدد أسماء جميع تلك الآلات المستخدمة في غناء قصة ألف ليلة وليلة في العصر العباسي، منها: آلات (الطنبور، العود، الجنك، القانون، السنتور) والآلات الهوائية مثل: (ناي، شبابة، ناي الطير، الزمّر والمزمار والنفير والدف والطار والدرابكة والطبول والكمان والقلاقل والعود العراقي)، وذكر العديد من الآلات الأخرى (فارمر، ٢٠١٠، ص ص ٤٣-٤٤).

٥. تأثير الموسيقى العربية على نظرية الموسيقى الأوروبية:

1.5. مقارنة الجانب النظري للموسيقى الإسلامية والأوروبية

كان أحد اكتشافات فارمر المهمة، مقارنة الجانب النظري للموسيقى الإسلامية بالجانب النظري للموسيقى الأوروبية، وذلك بعد مقارنة نصوص كتب العلماء المسلمين باللغة العربية مع نصوص العلماء والموسيقيين الغربيين باللغات اللاتينية والعبرية. صحح العديد من الحقائق التاريخية وحدد تأثير نظرية الموسيقى الإسلامية على الجانب النظري للموسيقى الغربية. يقول فارمر عن تأثير موسيقى الفارابي على الغرب: "كان موسيقياً وعالماً، ويعتبر مخترع آلة العود، وفيلسوفاً ومنظراً عظيماً للموسيقى العربية... تُرجمت العديد من كتبه إلى اللغة اللاتينية، ويذكر في المصادر اللاتينية باسم (ألفارابيوس)، وكان له تأثير لا حدود له على ثقافة أوروبا في العصور الوسطى، وبعد أرسطو، دُعي بالمعلم الثاني وكان أعظم فيلسوف أنتجته العرب " (Farmer,1929,p:175).

بعد اكتشاف فارمر لمعظم كتب موسيقى الفارابي في مدريد وتركيا، حدد تأثير علم موسيقى الفارابي على علماء الموسيقى العرب، وخاصة كتابه (الموسيقى الكبير). كما يقول هو نفسه: "يتألف المجلد الثاني من كتاب (الموسيقى الكبير) من أربعة مقالات، أجرى الفارابي فيها بحثاً في نظرية الموسيقى اليونانية، وقد تمت مناقشته من قبل كوسيغارتن ولاند وتريبودو، وأشار توديريني إلى تلك المخطوطة، وهي محفوظة في مكتبة الفاتيكان.(Farmer,1929,p:176) "

كما اكتشف فارمر، بعد مقارنة مخطوطات الفارابي بالمخطوطات اللاتينية والعثمانية، تزوير كتب الفارابي، وخاصة كتابه (إحصاء العلوم) الذي يتحدث عن الموسيقى. وفي هذا الصدد يقول: "تُرجم هذا الكتاب إلى اللاتينية والعبرية، ونشره معظم كتاب القرون الوسطى تحت نفس عنوان الكتاب باللغة اللاتينية باسمه، وكذلك كتاب آخر للفارابي معروف باسم (أحمد تيمور) " .(Farmer,1929,p:177)كما دعم المؤرخ فؤاد سزكين هذا الرأي واعتقد أنه بسبب ترجمة كتاب (إحصاء العلوم) للفارابي إلى اللاتينية، تعرفت أوروبا في القرن الثالث عشر الميلادي على تقسيم الموسيقى نظرياً وعملياً، بالإضافة إلى تقسيم الموسيقى.(Sezgin,2008,c:1,p.89)

من أبرز تلك الكتب: كتاب (Liber de astrologia) للوبيتوس. هذا بالإضافة إلى أن العالم الإيطالي الشهير (جيربرت) في عدة نصوص كتبه افتخر بأنه أحضر علم الحضارة الإسلامية إلى أوروبا .(Farmer,1926,p:34) حتى أنه في عام ٩٧٠م أصبح عميداً لجامعة روما، بل إن علم الموسيقى انتشر في دولة فرنسا .(Farmer,1926,p:35) ثم استنتج فارمر، بعد مقارنة نصوص كتب العلماء المسلمين بنصوص علماء مثل هيرمان (ت. ١٠٥٤م) و(جيربرت)، أسماء تلك الكتب التي كُتبت عن علم الموسيقى ونشرت بأسمائهم، ومعظمها كان رسائل ومخطوطات الفارابي، منها (De musica libi) :و(De monochordo) ، .(lib. I)وكذلك من كتب (مارتن جيربرت) المزورة، كان كتاب (Scriptores) وكتاب (Versus Hermanni ad discerendum cantum) (Farmer,1926,p.35).

حتى القرن الثاني عشر الميلادي، تُرجمت المخطوطات الموسيقية للعلماء المسلمين إلى اللغة اللاتينية، وخاصة دور مترجمين مثل (أفلاطون التيفولي) و(جيرارد الكريموني) كان مهماً جداً. من خلال هذه الترجمات، أصبحت بعض أفكار منظري الموسيقى العرب معروفة باللغة اللاتينية، منها: كتب (الفارابي) وابن سينا والكتب المزورة لأرسطو، كان لها دور مهم في تعريف النظرية الموسيقية الأوروبية. استخدمت هذه الأفكار خاصةً من قبل عالم الموسيقى الشهير (فينسينت دي بوفيه) (ت. ١٢٦٤م). ثم طورت تلك النظرية على يد (روجر بيكون) (ت. ١٢٨٠م) و(والتر أودينغتون) (ت. ١٢٨٠م).(Farmer,1926,p:37)

بعد الوصول إلى الحقائق، استخدم فارمر مصطلح (نظرية مقبولة). في مقابل أخذ نظرية الموسيقى العربية، دحض الرأي القائل بأن الأوروبيين كانوا مخترعي السلم الهارموني ذو الدرجات الست. كما يقول هو نفسه: "تأسست النظرية المقبولة للأصل الأوروبي على أساس السلم اللاتيني الخالي من الأخطاء "(do, re, mi, fa, sol, la, si) (Farmer,1926,p:73).استخدمت هذه الاختراعات من قبل جميع كتاب الموسيقى الأوروبيين في القرون الوسطى ونشروها بأسمائهم، وأبرزهم: غافوريوس (١٤٩٢)، غلاريانوس (١٥٤٧)، فيسنتينو (١٥٥٧)، جاليلي (١٥٨١)، زارلينو (١٥٨٩)، كيرشر) ١٦٥٠ ((Farmer,1926,p:73).

كما دحض بحث المستشرق (شاجوان شليسنجر) الذي اعتقد أن المقامات والنوتات مأخوذة من اليونانيين، وأن درجات السلم: (سا، ري، جا، ما، با، دا، ني) مأخوذة من ترتيب النوتات في ميزان الموسيقى الهندية. وفي هذا الصدد يقول فارمر: "كانت مجرد علاقة صوتية، كان اليونانيون يملكون تلك الكلمات سابقاً، وأخذت الكلمات للتعبير عن تغيرات الرباعيات في (تا، تي، تو) للوصول إلى الأكوردات الستة؛ ولكن على الرغم من التأثير الجذري العميق للموسيقى اليونانية على تطور الحضارة الأوروبية، كما يخبرنا شاجوان شليسنجر، لم تكن ملهمة " (Farmer,1926,p:77).

ثم أرجع فارمر تلك الابتكارات للفارابي، ويقول في هذا الصدد: "نرى أن الفارابي كان غالباً ما ينشغل بنفسه في سلاسل غير منتظمة من هذا النوع، ولدينا دليل على سلسلة غير نظامية لأن الأحرف الأولى من أسماء الملاحظات والأوضاع يمكن استخدامها ككتابة " (Farmer,1926,p:80).حتى أن تلك النظرية كانت مهمة جداً، لدرجة أن الباحثين الألمان المشهورين مثل البروفيسور (إي. إم. فون هورنبوستل) و(روبرت لاخمان) درسوها في القرن العشرين.(Farmer,1926,p:80)

كما أرجع فارمر استخدام العلوم الطبيعية مع الموسيقى للعلماء المسلمين، وذلك بعد حركة الترجمة التي قام بها الكندي والفارابي وابن سينا بعد البحث في المصادر اليونانية، حيث أسسوا أساس ذلك العلم، ثم اختصرت على يد (شرف الدين بن يوسف الأرموي – صفي الدين الأرموي) (ت. ٦٩٣هـ/١٢٩٤م) .(Sezgin,2008,c:1,p.52) والذي حسب رأي فارمر كان مؤسس مدرسة النظم الحسابية–الفيزيائية للموسيقى، واستمر ذلك النظام مستخدماً في أوروبا حتى عام ١٥٠٠م.(Farmer,1969,p.52)

2.5. مقارنة الجانب العملي للموسيقى الإسلامية والأوروبية

كان أحد اكتشافات فارمر، استخدام نظرية الموسيقى للجانب العملي، الذي كان مبتكروه هم الموسيقيون العمليون في العصر العباسي، منهم: في كتاب (كتاب الأغاني) ليحيى بن علي وإسحاق الموصلي استُخدم الجانب العملي. وفي هذا الصدد يقول: "نرى الجانب العملي في أعمال يحيى بن يحيى (ت. ٩١٢م)، الذي كان تابعاً لمدرسة إسحاق الموصلي " (Farmer,1926,p:91).

ثم دحض بحث المستشرق (شاجوان شليسنجر)، الذي اعتقد أن كتابات الفارابي في ذلك المجال، كانت منسوخة من كتب بطليموس. بل إن فارمر، بفضل استخدامه لمنهجية المقارنة، حدد مصادر بطليموس واعتقد أن تلك المعرفة أخذها من حضارة الساميين، ولهذا اختار كل من العالمين بطليموس والفارابي نفس المنهجية. بينما هناك نفس استخدام الأحرف غير المتواصلة من الأبجدية في التعامل مع فن النظرية، ثم استخدموها للجانب العملي، واستمر هذا الأسلوب حتى القرن الخامس عشر، واستخدمه كتاب مثل الشيرازي وابن الغيبي ومحمد بن مراد ومولانا حتى ذلك القرن.(Farmer,1926,p:91)

كما أشار ابن سينا (ت. ١٠٣٧هـ) إلى استخدام الآلات الموسيقية واستخدام الجانب العملي. وكذلك كتب حسين بن زيلة (ت. ١٠٤٨هـ) مخطوطة عن الجانب العملي، مع كتابة الحروف واستخدام الألحان، والتي تحدث أيضاً في قسم النظرية، منها: رموز مثل (A. B. J. D. H. : W. Z. H. T. Y. Ya)مع قيم إيقاعية، وكذلك الضرب المباشر عبر الأرقام، من قبل الكندي والفارابي (ت. ٩٥٠هـ)، أو أحياناً استُخدم الجانب الشفهي العملي، ثم كعلامة لإيجاد القيمة المترية في المود، واستخدم هذا الأسلوب من قبل إخوان الصفا.(Farmer,1926,p:92)

بعد مقارنة فارمر للجانب العملي للموسيقى بين العلماء المسلمين وعلماء الغرب، وآراء المستشرقين مثل شاجوان شليسنجر الذي اعتقد أن ذلك الجانب أُخذ من قبل الموسيقيين الأوروبيين من اليونانيين وطُوّر، ردّ فارمر على ذلك الرأي بعدة نقاط، وهي:

١.كانت حقيقة تاريخية أن علماء الموسيقى في أوروبا الغربية حتى بعد معرفة كتابة الحروف، لم يعرفوا هم أنفسهم منظري اليونان.

٢.لا يوجد أي اتصال بين الجانب العملي اليوناني والأوروبي في ذلك الصدد، لكنه موجود في نصوص مخطوطات العلماء المسلمين.

ثم يقول: "إذا قارنا النصوص العربية واللاتينية، موضوع (معرفة النغمات الثمان) وذلك الكتاب الذي ظهر لأول مرة في أوروبا، يظهر ذلك الموضوع لأول مرة في كتاب (De harmonica institutione)" (Farmer,1926,p:93).

ثم يتطرق فارمر إلى تلك الآلات المستخدمة للجانب العملي، منها: تلك الآلة التي ذكرها ابن سينا، يقول: "أعتقد أنه يمكن إثبات أن تلك الآلة كانت في الأصل جزءاً من التركيبة الميلودية... وكذلك في كتاب (الكندي) في كتابه (المفتاح في العلوم) خصص جزءاً خاصاً لآلة (العود) المعروفة بـ(الجاس)، وُصفت هذه الجاس بأنها 'نقر الأوتار بالإصبع الأولى والإبهام' وتتعامل مع نوعين من الجاس، يتكونان من ثلاثة حركات مختلفة للإبهام.(Farmer,1926,p:105) "

كما قارن فارمر النوتات أيضاً، وكشف تأثير نوتات حضارة ما على أخرى. في كتاب (تاج البستان) حدد تنوع النوتات الفارسية والكردية وتأثيرها على الموسيقى العربية (العقيقي، ١٩٦٤م، ج: (٢)، ص٥٤١).

بعد كشف فارمر لأسلوب استخدام الجانب العملي لنظرية الموسيقى للعلماء المسلمين، حدد تأثير ذلك الجانب في تقدم علم الموسيقى في أوروبا، منها استخدام آلة (الأورغانوم) في مدارس مدينة قرطبة، حيث كان يُدرّس، وكان الطلاب يأتون من جميع أنحاء أوروبا لتعلم (الهوموفوني) و(الهارموني) في تلك المدينة، وكانوا يُدرَّسون تلك الموضوعات الموسيقية. وكذلك (الكوادريفيوم)، الذي يغطي فقط الجانب الفيزيائي للموسيقى، والذي كان العرب يسمونه فن (الناظل)، قيل للطلاب. وقد أخذ هذا الرأي من مؤرخي الموسيقى الأوروبيين، وخاصة (فيرجيليوس كوردوبينسيس) و(جوليان ريبيرا) عالم الموسيقى عام ١٩٢٢م الذي حدد تلك المسألة (Farmer,1926,p:107).

أرجع فارمر تأثير ذلك الجانب إلى القرن التاسع الميلادي، حيث اعتقد أن جون سكوتوس في كتابه (De Divisione Naturae) أشار إلى الآلات الموسيقية مثل (الأورغانوم)، المأخوذة من مصادر العلماء المسلمين. وكان لدى المستشرق شاجوان شليسنجر نفس الرأي، بأن ذلك العالم أحضر ذلك الفن إلى أوروبا.(Farmer,1926,p:109)

في ختامه، كان لفارمر رأي مختلف بشأن انحدار الثقافة وسقوط الحضارة، وأرجع أحد أسباب ضعف الابتكار إلى أنهم تخلوا عن الجانب العملي، بل حتى في معظم الفروع العلمية تخلوا عن الجانب العملي. حتى ذلك الجانب الذي حققوه في مجال الموسيقى والجراحة في القرون الوسطى، أصبح الآن في أبسط مراحله. كما يقول هو نفسه: "نادراً ما حافظ العرب على تاريخ هذا الفن، التاركيلب أو الأورغانومي، وهذا يمكن أن يُعزى إلى انحسار الحساب الثقافي، على الرغم من التقدم الذي تحقق في مجال الطب والجراحة من قبل العرب في القرون الوسطى، عندما يريدون الآن صنع دواء خارج المدن الأوروبية، عادوا إلى أبسط أفكار العلاج " (Farmer,1926,p:109).

3.5 . نظرة نقدية على منهجية المقارنة لفارمر

رغم أن النقاد أشاروا إلى أخطاء المنهجية ونقائص الأسلوب، إلا أن تلك الانتقادات لا تقلل من أهمية إنتاجه، حيث ناقش معلومات كثيرة عن تاريخ الموسيقى الإسلامية والموسيقى الغربية (ÖKTEN,1995,C:12,P.174).

خاصة أن فارمر، بفضل جمعه لمخطوطات معظم علماء الموسيقى في العديد من الحضارات في مصر ودول أوروبا، استطاع تحديد تأثير الجانب النظري للموسيقى للحضارة الإسلامية على الحضارة الغربية. لكن مع ذلك، لم يزر معظم مكتبات دولة تركيا، وهذا ما أدى إلى عدم حصوله على بعض مخطوطات العلماء المسلمين التي كان لها تأثير على الجانب العملي. على سبيل المثال، استخدام الموسيقى في المستشفيات، للمرضى الذين يعانون من أمراض نفسية، حيث لا تزال تلك المنهجية تُتبع حتى الآن، والمذكورة في كتاب محمد بن جرير الطبري (ت. ٣١٠هـ/٩٢٣م)، حيث أُجريت تجارب طبية على هؤلاء المرضى بواسطة الموسيقى، وتلقوا علاجاً.(Sezgin,2008,c:1,p.52)

في عام ١٩٧٦م، انتقد باحثان رأي فارمر حول نظرية الموسيقى العربية وتأثيرها على موسيقى أوروبا. البحث الأول بعنوان (Die Theorian zum arabischen Einflub auf die europaische muzik des Mittelalters)، بقلم (نيفا روت بيركوهن)، حيث لا يعارض تأثير نظرية الموسيقى العربية، لكنه ينتقد منهجية فارمر، بأنه أجرى تلك المقارنة بشكل سطحي، وحدد تأثير الجانب العملي أكثر، وأعطى أهمية للآلات الموسيقية، ولم يعطِ الجانب النظري الأهمية الكافية. وكذلك البحث الثاني بعنوان (Zur Rolle der Araber in der Musikgeschichte des europaischen Mittelaters)بقلم (إيكهارد نويباور)، انتقد منهجية فارمر فيما يتعلق بتأثير الموسيقى الغربية في القرون الوسطى، بأنه لم يجري بحثاً مفصلاً بالكامل ولا يستحق القبول.(Sezgin,2008,c:1,p.87)

وبخصوص اكتشافه المهم في تاريخ علم الموسيقى، وهو نظرية الموسيقى، والذي نُشر عام ١٩٢٩م، سرعان ما ردت عدة أبحاث على بحث فارمر، منها: (كاتلين شليسنجر) التي عارضت بشدة نظرية فارمر، بأنه بالغ في تأثير نظرية الموسيقى على الغرب. وكذلك بعد نشر بحث فارمر عن علم الموسيقى في القرن الثالث عشر الميلادي، واجه عدة انتقادات، من قبل (ك. أوتو)، حيث لم يكن فارمر خبيراً جداً في المشاكل الثقافية والأنثروبولوجية للموسيقيين، واعتقد أن فارمر في تحديده لتأثير نظرية الموسيقى الإسلامية على نظرية الموسيقى الأوروبية كان على أساس عاطفي، وليس موضوعياً.(Sezgin,2008,c:1,p.87)

كما يقول المؤرخ فؤاد سزكين: "على الرغم من أن الكتاب وقع تحت وابل من الانتقادات، إلا أن نظريته لم تُدحض حتى الآن .(Sezgin,2014,p:) "بعد تقدير الأعمال العلمية لفارمر في مجال الموسيقى، أعيد طباعة جميع أبحاثه في جامعة غوته–فرانكفورت، ونُشرت مرة أخرى أكثر من ٢٨ لحناً منسوخاً للعلماء المسلمين، التي أعاد فارمر نسخها. ومع ذلك، ينتقد منهجية فارمر، ويقول: "حصر فارمر نفسه فقط في الآلات الموسيقية، يجب أن تخضع ثقافة الموسيقى العربية مرة أخرى للفحص والمراقبة ومقارنتها بالمعايير العامة.(Sezgin,2008,c:1,p.88) "

كما ينتقد المؤرخ جورج سارتون، رغم أن فارمر قدم معظم أبحاثه لمجلته وأرسلها له خصيصاً، منهجية فارمر، بأن نظريته كان لها تأثير على الموسيقيين المسيحيين في القرن الثالث عشر والكنيسة، بل حتى الملك (ألفونسو) الذي كان لديه عدة ألحان، لكن فارمر لم يذكره. هذا بالإضافة إلى أنه وصف قطب الدين الشيرازي ونصير الدين الطوسي بأنهما منظران عظيمان للموسيقى واخترعا عدة آلات، منها: (الفلوت والزّبور والأركلوت). كما كان تأثير نظرية (النظم) لصفى الدين كبيراً لدرجة أنها كانت مصدراً لعلماء مثل جوت بيكام وفيتيلو وروجر بيكون (Sarton,1931,c:2,p:765).

هوامش:

(1) صفي الدين :هو عبد المؤمن بن الفقير الأرموي البغدادي، أحد أكبر منظري الموسيقى الإسلامية، ترجع أصوله إلى كرد أورميا في أذربيجان، لكنه ولد في مدينة بغداد. كان كاتب موسيقى في عهد الخليفة المستعصم (١٢٤٢–١٢٥٨م)، وبعد سقوط الخلافة العباسية، دخل في خدمة هولاكو وأصبح معلماً لابني وزير هولاكو، محمد (ت. ١٢٧٩م) وشرف الدين هارون (ت. ١٢٨٢م). كتب ثلاثة كتب عن الموسيقى، منها: (كتاب الأدوار) و(الرسالة الشرقية).(Sarton,1931,c:2,p:1035)

(2)جورج سارتون :مؤرخ ومستشرق بلجيكي، ولد عام (١٨٨٤م)في مدينة (غاند) البلجيكية، حصل على شهادة الدكتوراه في العلوم الفيزيائية والرياضية عام ١٩١١م، ويعتبر مؤسس تاريخ العلوم، وكان أشهر كتبه (تاريخ العلوم)، حصل على ستّ دكتوراه فخرية من جامعات أمريكية مختلفة، وتوفي عام ١٩٥٦م. (حافظ إبراهيم علي سجيتة، وفاة الأستاذ جورج سارتون، مجلة المجمع العلمي العربي، ج:(٤)، مج:(٣٣)، (١٩٥٦م)، ص ص ٦٧٨–٦٧٩).

(3) الكندي :اسمه أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن قيس الكندي، لُقب بفيلسوف العرب، وكان له كتب في معظم العلوم مثل: المنطق والفلسفة والهندسة والحساب والرياضيات والموسيقى وعلم الفلك (ابن النديم، ١٩٩٧، ص٣١٥).

(4) الفارابي :أبو نصر محمد بن محمد طرخان، ولد في أرض خراسان، أجرى بحثاً في المنطق والفلسفة، كما شرح كتب أرسطو، وخاصة كتاب (الأخلاق) وكتاب (القياس) لفيثاغورس، وله عدة كتب في الموسيقى (ابن النديم، ١٩٩٧، ص٣٢٣).

النتائج:

مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٦ المجلد ١٦ / العدد ٤

١. وفقاً للبحث المقارن لفارمر، فإن مصدر الموسيقى اليونانية مأخوذ من موسيقى الحضارة البابلية والعربية ما قبل الميلاد والآشورية. لم يكن اليونانيون مخترعي علم الموسيقى، بل قاموا فقط بعملية الجمع.

٢. وفقاً لمنهجية المقارنة لفارمر، لم يكن مصدر الموسيقى الإسلامية فارسياً، بل إن ابتكار نظرية الموسيقى نشأ في الحضارة الإسلامية نفسها. وقد دحض جميع آراء المؤرخين المسلمين مثل المسعودي وابن خلدون وابن خرداذبة والمستشرقين مثل شليسنجر.

٣. توصل فارمر نتيجة مقارنة الألحان الفارسية والعربية إلى أنها كانت ألحاناً مختلفة. ولأجل ذلك، أعاد إنشاء تلك الألحان في القرن العشرين وصحح الأخطاء التاريخية.

٤. بفضل منهجية المقارنة، أرجع فارمر نظرية الموسيقى للحضارة الإسلامية، ولم تكن تلك النظرية من الحضارات السابقة. اعتبر إسحاق الموصلي مبتكر تلك النظرية، واستمرت حتى القرن الثالث عشر الميلادي، وكان أبرزها نظرية (النظم) لصفى الدين، التي كان لها تأثير على الموسيقى الغربية. ورغم الانتقادات الكثيرة، إلا أن تلك النظرية لم تُدحض حتى الآن.

٥. نظرية الموسيقى الإسبانية، التي كانت مصدراً للموسيقى الغربية، نشأت تحت تأثير نظرية الموسيقى الإسلامية. وكان لعلماء المسلمين في إسبانيا دور مهم في نقل تلك النظرية إلى إسبانيا.

٦. نتيجة لاستخدامه لمنهجية المقارنة، صحح فارمر العديد من الحقائق التاريخية في اختراع الآلات الموسيقية. أرجع أكثر من ٩٠ آلة موسيقية للشعوب الشرقية، وسجل تاريخ كل آلة على حدة، وحدد تأثير تلك الآلات على علم الموسيقى الأوروبي.

٧. قارن فارمر بشكل عملي الألحان الإسلامية والألحان الإسبانية، ووجد أن بعض ألحان ملحني إسبانيا وإيطاليا أخذت شفهياً من ألحان العلماء المسلمين كما هي مرسومة في هوامش المخطوطات.

٨. نجح فارمر في مقارنة الجانبين النظري والعملي بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، لكنه مع ذلك أولى أهمية أكبر لصنع الآلات الموسيقية والألحان، ولم يقارن قصائد الغناء. هذا بالإضافة إلى أنه ذكر أسماء أقل عدد من علماء الموسيقى الأوروبيين في العصور الوسطى، وكان مصدرهم الرئيسي مخطوطات العلماء المسلمين.

مصادر

مصادر باللغة العربية

١-حافظ ابراهيم علي سجيتة، وفاة الأستاذ جورج سارتون،مجلة المجمع العلمي العربي، ج:(٤)،مج:(٣٣)،(١٩٥٦م)، ص ص ٦٧٨-٦٧٩.

٢-فارمر، هنري جورج، (٢٠١٠م)،الموسيقي و الغناء في الف ليلة و ليلة، ت:حسين ناصر، ن:المركز القومي للترجمة، (القاهرة).

٣-العقيقي،نجيب،(١٩٦٤م)،المستشرقون،ج: (٢)، ط: (٣)، ن: دار المعارف، (مصر).

٤-ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي ،(١٩٩٧م)،

٥-الفهرست، لمحقق: إبراهيم رمضان، ط:(٢)،ن: دار المعرفة بيروت،(لبنان).

مصادر باللغة التركية

6- SADETTİN ÖKTEN,(1995), FARMER, Henry George(1882-1965), TDV İslâm Ansiklopedisi',C:12.

7- Sezgin, Fuat,(2008), İSLAM'DA BİLİM VE TEKNİK, C: 1,(istanbul).
8- Sezgin,.Fuat,(2014), TANINMAYAN BüYüK ÇAG, (ISTANBUL).
9- Farmer,Henry George, (1999),ONYEDINCIi YUZYILDA TURK CALGILARI,C:M.ILHAMI GOKCEN,(ANKARA)

مصادر باللغة الانكليزية

10 - E.- E. Neubauer, (1988),"Henry George Farıner on Oriental Music", Zeitschri{t {ür Geschichte der Arabisch-lslamischen Wissenscha {ten, N,(Frank furt).
11 - Farmer, Henry George, (1929),A History of Arabian Music,(London)
12 - Farmer, Henry George, (1904), Memoirs of the Royal Artillery Band: its origin, history and progress. An account of the rise of military music in England. With ... illustrations, (London).
13 - Farmer,Henry George, (1926), HISTORICAL FACTS FOR THE ARABIAN MUSICAL INFLUENCE,(London).
14 - Farmer, Henry George, (1953), The Song Captions in the Kitab al-Aghani al-kabir, T: Glasgow university oriental Society,(15/1-10),(Glasgow).
15 - Farmer, Henry George, (1969).The Sources of Arabian Music, (Leiden).
16 - Farmer, Henry George, (1925), The Arabian influence on musical theory, (ISIS), C:8.
17 - Farmer, Henry George, (1930), Greek theorists of music in Arabic translation, (ISIS),C:13.
18 - Farmer, Henry George, (1925), The Arabic Musical Manuscripts in the Bodleian Library, (London).
19 - Farmer, Henry George, (1931),The Organ of the Ancients (London).
20 - Farmer, Henry George ,(1931),Studies in Oriental Musical Instruments (I, London)
21 - J. Katz, (1932), Henry George Farmer His Life and Works to His Fiftieth Birthday, (London).
22 - Sarton, George,(1927),INTRODUCTION TO THE HISTORY OF SCIENCE, V:1,(Baltimore).
23 - Sarton, George,(1931),INTRODUCTION TO THE HISTORY OF SCIENCE, V:2, (Baltimore).
24 - Sarton, George,(1947), INTRODUCTION TO THE HISTORY OF SCIENCE, V:3, (Baltimore).